

## موسى الكليم والعبد الصالح

من قصص السنة النبوية الشريفة ما ورد ذكره في القرآن الكريم وجاءت السنة فوضحت وفصلت ما يتصل به من أسباب ومناسبات، ومن ذلك قصة موسى الكليم مع الخضر..

قال الإمام البخاري رحمته الله : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا عمرو قال : أخبرني سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن نوحاً البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل . إنما هو موسى آخر فقال : كذب عدو الله .

حدثنا أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يا رب، وكيف لي به؟ فقليل له: احمل حوتاً في مكثل، فإذا فقدته فهو ثم. فانطلق، وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحملاً حوتاً في مكثل حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكثل فاتخذ سبيله في البحر سرية، وكان لموسى وقتاه عجباً فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. ولم يجد موسى مساً من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به. فقال له فتاه: أرايت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت. قال موسى: ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا. فلما أتيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بشويه. فسلم موسى فقال الخضر: وإني بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. فقال: موسى بني إسرائيل؟، قال: نعم. [ثم] قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمك الله لا أعلمه، قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فمرف الخضر فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور

فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر. فقال الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتفرق أهلها؟ قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً. قال: لا تؤاخذني بما نسيت، فكانت الأولى من موسى نسياناً، فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: قتلت نفساً ذكية بغير نفس؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً. قال ابن عيينة: وهذا أوكد. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، قال الخضر بيده فأقامه، قال موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال: هذا فراق بيني وبينك. قال النبي ﷺ: «يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما»<sup>(1)</sup>.

ولقد قص الله تعالى هذه القصة في سورة «الكهف»، وبين ما أشكل على موسى ﷺ فأنكر ظاهره ولكن الله جلت حكمته، قد أطلع الخضر على الحكمة الخفية من هذه الأفعال التي فعلها: من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.

فأما عن السفينة، فإنه قد خرقها ليعييبها؛ لأنهم كانوا يمرون على ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة وجيدة غصباً، فأراد أن يعيب السفينة حتى يرده عنها، فيتضع بها أصحابها المساكين، فإنهم لم يكن لهم من عمل أو مورد يتتفعون به سوى السفينة.

وأما الغلام: فقد جاء في رواية مسلم: وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً وكان أبواه قد عطفوا عليه، فلو أنه أدرك أرقههما طغياناً وكفراً فيحملهما على متابعتة على الكفر، قال قتاده: قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرضى أمرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب كما في الحديث: «لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيراً له»، وقال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216].

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 74) و(الحديث: 78) و(الحديث: 2267) و(الحديث: 4726) وأخرجه مسلم في (الحديث: 6113)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3149).

وأما الجدار: فأصلحه، لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً، وفي هذا دليل على أن الله تعالى يحفظ للرجل الصالح ذريته من بعده، ويشملهم بعنايته ويكلاهم برعايته. ويحيطهم برحمته في الدنيا والآخرة. لتقر عينه بهم.

وفصل القرآن الكريم أسباب ما فعله الخضر فيقول عن لسانه لموسى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَمَلُّونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْقَلْبُ فَكَانَ أَبُوهُمَا مُؤْمِنِينَ فَأَخْبَيْتُمْ أَنْ يُرَفِّقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: 78-82].

فقد فعل ما فعل في الأحوال الثلاثة رحمةً من الله تعالى بأصحاب السفينة ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح، ثم إنه ما فعله عن أمره ولكنه أمر به ووقف عليه.

ويستنبط من هذه القصة بعض العبر والدروس، التي لها أهميتها وأثرها في حياة الأفراد والجماعات، وفيما ينتفع به الناس في دنياهم وأخراهم.

ومن هذه الدروس الهامة: الدعوة إلى طلب العلم، واحتمال المشقة في سبيل تحصيله، ولا يمنع الإنسان من طلب العلم مكانته في قومه، أو منصبه في المجتمع، إذ إن طلب العلم فريضة، فموسى عليه السلام، لم يمنعه من طلب العلم كونه نبياً، ولم يمنعه بلوغه فيه ما بلغ. فقد رحل وسافر وركب البحر وتحمل المشاق، من أجل أن يحصل على ما لم يعلمه. ولقد كان طلب العلم والرحلة من أجله أشهى أمانى سلفنا الصالح، وكم تحملوا في سبيله ما تحملوا من شظف العيش. وخشونة الحياة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»<sup>(1)</sup>.

وفي هذه القصة من الدروس ما ينبغي أن يراعيه العالم، فإذا ما سُئِل: أي الناس

(1) أخرجه مسلم في (المحدث: 6793).

أعلم؟ فعليه أن يكل العلم إلى الله العليم الحكيم الذي أحصى كل شيء عدداً، وأحاط بكل شيء علماً. . كما ينبغي للمتعلم أن يتواضع في طلب العلم، مهما كانت مكانته، فموسى عليه السلام وقف من العبد الصالح موقف المتعلم المتواضع، فاستأذنه في اتباعه ليتعلم منه قائلاً له: ﴿قُلْ أَتُبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَكَ﴾ [الكهف: 66].

وإذا ما بدرت منه بادرة أسرع بالاعتذار، وأبدى حسن الطاعة، تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتنبهوا لمن زكى نفسه أن يسلك ممالك التواضع ومكارم الأخلاق.

ومن الدروس المستفادة من هذه القصة كذلك: أن في العديد من حادثات الحياة التي يتبرم بها الناس خيراً لا يعلمونه وأسراً لا ينطرق إليها فهمهم، ولا يعلمها إلا علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى. . والذي لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. . كما أن في العديد من الأمور التي يفرح لها الناس، شراً مستطيراً، وخطراً كامناً قال الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

ومن هنا يظهر أثر الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، كركن هام من أركان الإيمان. . كما أن الله تعالى، يصون عقيدة الإنسان المؤمن المخلص، فلا يتركه في مهب الفتن وعواصف الأحداث، وإنما يبعد الله عن طريقه أسباب الضلال والضياع. ما دام مخلصاً لربه صادقاً في إيمانه، فقد شاء الله تعالى للغلام أن يُقتل، لأنه إن عاش سيرهق والديه طغياناً وكفراً؛ لأن الآباء مفضوون على محبة الأبناء. وقد يطغى فساد الابن على صلاح الوالدين فيكون سبباً في كفرهما وطغيانهما، ففي الأبناء فتنة للآباء.

ومن دروس هذه القصة أيضاً: المحافظة على أموال اليتامى والمساكين، وأن الله تعالى يرعاهم ويرزقهم، ففي تشويه السفينة نجاة لها من الغصب حتى تبقى ملكاً للمساكين الذين يعملون عليها.

ومن العبر كذلك: أن للبيئة الصالحة المستقيمة أثراً بالغاً في حياة أبنائها، وأن الله تعالى يتولى ذرية الصالحين إذا كانوا مؤمنين واتبعوا منهج الحق وساروا على الجادة، ولا تلحقهم فتن الحياة ولا فسادها الذي يستشري بين الناس، بل يمهد الله

للأبناء طريق الخير والهناء ويذلل لهم الصعاب حتى تسير بهم الحياة آمنة مطمئنة . .

فعلى المجتمعات البشرية، أن تهتدي بهدي الكتاب والسنة وتسير على صراط ربها المستقيم، متتهجة منهج الحق، آخذة من العطاء الغامر الذي يفثه القرآن الكريم، وتفيض به السنة الشريفة حتى يفتح الله عليه بركات من السماء والأرض، والله ذو الفضل العظيم.

## أفضل خصال الإسلام

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»<sup>(1)</sup>.

يتكون الإسلام من شعب كثيرة وخصال حميدة، وقد جاء منها في هذا الحديث شعبتان. الأولى: إطعام الطعام. والثانية: إقراء السلام.

وقد جاء في أحاديث أخرى بعض شعب أخرى منها قوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون - أو - بضع وسبعون شعباً أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعباً من الإيمان»<sup>(2)</sup>.

وهكذا. نرى أن للإيمان شعباً وأن بعضها يفضل بعضاً، ويترتب على ذلك زيادة إيمان المؤمن أو نقصه، ومدى قربه من ربه أو بعده، فكلما زادت هذه الشعب وكانت أكثر وكان صاحبها يتحلى بأعظمها كان أكثر إيماناً، وكان أقرب من ربه سبحانه وتعالى.

وكلما نقصت هذه الشعب وكانت أقل، أو كان صاحبها لا يتحلى بالكثير منها، وبالخصال الحميدة كان أقل إيماناً وأبعد من ربه. وإجابة الرسول ﷺ للسائلين والمستفسرين من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم كانت مطابقة لمقتضى الأحوال فيخاطب ويوجب كل جماعة بما هو أجدى لهم وأنفع، ففي حديث آخر عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»<sup>(3)</sup>.

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 159).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 9)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 151)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 4676)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2614)، أخرجه النسائي في (الحديث: 5019)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 57)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 414/2) و(الحديث: 445/2).

(3) أخرجه البخاري في (الحديث: 11)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 162)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2504)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 5014).

وهكذا فهو يجيب كل سائل في كل وقت بما يكون أفضل في حق السامع أو السائل أو أهل المجلس الذين يحدثهم، فربما يكون ظهر من أحدهم قلة مراعاته ليد له لسانه وإيذاء المسلمين، وربما يكون ظهر من الآخر إمساك عن الطعام والبعد عن السلام أو ما فيه استعلاء، فأجابه على حسب حاله، وقد يكون السائل الثاني يهدف من وراء سؤاله إلى معرفة أفضل المنهيات والأمور التي يجب عليه تركها فأجابه بقوله: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

ويكون الأول سأل ليعرف خير الأعمال وأفضلها، فأجابه بإطعام الطعام وإقراء السلام. ومن المعلوم أن الإطعام مستلزم لسلامة اليد، والسلام لسلامة اللسان.

وهاتان الخصلتان المذكورتان في الحديث هما من الأهمية بمكان بحيث يترتب عليهما صلاح المجتمع حسياً ومعنوياً.

وذلك أن مكارم الأخلاق وشعب الإيمان منها ما هو مالي: كالإنفاق والإطعام، ومنها ما هو بدني: كصناعة الخير ومعاونة الضعيف، ومنها ما هو قولي: كإقراء السلام. وهاتان الخصلتان حث عليهما رسول الله ﷺ أول ما دخل المدينة، كما رواه الترمذي من حديث عبد الله بن سلام قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه فكنت ممن جاءه، فلما تأملت وجهه واشتبتهت عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: «يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(1)</sup>.

فأفضل تلك الخصال: إطعام الطعام الذي به قوام الأبدان، وأفضل الأقوال في البر والإكرام هو إفشاء السلام لمن عرفه الإنسان ومن لم يعرفه ليكون خالصاً لله تعالى بعيداً عن الرياء، فالسلام هو شعار الإسلام.

وقد قال في الحديث: «تطعم الطعام»، ولم يقل: تأكل ونحو ذلك من الألفاظ؛ لأن كلمة الإطعام عامة تشمل الأكل والشرب والذوق. وجاء التعبير النبوي بالإطعام عاماً غير مقيد ولا مخصوص يشمل الإنسان والحيوان والمسلم وغير المسلم،

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2485) و(الحديث: 3251)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1334)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 451/5).

والإطعام الواجب والإطعام المستحب، وإطعام الفقراء وإطعام غيرهم من الأهل والضيوف والجيران وهكذا. . فتقدير الكلام أن تطعم الخلق الطعام ولكن حذف المفعول ليعم.

كما أنه قال: «وتقرأ السلام»، ولم يقل: وتسلم ليشمل السلام الذي يبعثه المسلم بالكتاب والسلام الذي يلقيه مشافهة على أخيه وهكذا. . إن السلام تحية المسلمين، وشعار الإسلام.

إنها إذاً لشعبتان من أهم شعب الإيمان التي ينبغي على المؤمنين أن يتمثلوهما، أما الشعبة الأولى وهي إطعام الطعام: فلها آثارها البعيدة في حياة الفرد والمجتمع، وفي دنيا الإنسان وآخرته.

وإنها تعمل على تأليف قلوب الناس، وغرس الألفة والمحبة بينهم، كما قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم      قطالما استعبد الإنسان إحسان  
وإنها لتمثل أهم جوانب البذل والإنفاق فهي بذلك برهان صادق على صحة إيمان صاحبها كما قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «الصدقة برهان»<sup>(1)</sup>.

وإنها لتعني: البذل والسخاء، والسخاء أثره البالغ في جعل صاحبه قريباً من الله ومن الناس ومن الجنة، ويجعله بعيداً عن النار قال ﷺ: «إن السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل. .»<sup>(2)</sup>.

ولقد سجل القرآن الكريم ثناء رب العزة سبحانه وتعالى على أولئك الصحابة الكرام الذي آثروا إخوانهم بالخير وإطعام الطعام، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى

(1) أخرجه مسلم في (الهديث: 533)، وأخرجه الترمذي في (الهديث: 3517)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الهديث: 342/5) و(الهديث: 343/5)، وأخرجه الدارمي في «سننه» (الهديث: 167/1).

(2) ذكره الزبيدي في «تحاف السادة الثقلين» (الهديث: 176/8).

أَنْفُسِهِمْ وَكَوْ كَانَ يَوْمَ حَصَاةً وَمَنْ تُوَقَّ شَعْنُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾ .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية: أنه نزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام، وهو لا يكفي إلا واحداً وليس عنده غيره، وأمر امرأته بإطفاء السراج، وجعل يمد يده في الطعام كأنه يأكل ولا يأكل. فأكل الضيف الطعام الذي قدمه إليه فلما أصبح قال له الرسول الكريم ﷺ: «لقد عجب الله من صنيعكما الليلة إلى ضيفكم»<sup>(١)</sup>، ونزل قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَوْ كَانَ يَوْمَ حَصَاةً وَمَنْ تُوَقَّ شَعْنُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ .

لقد وعى سلفنا الصالح وصحابة رسول الله ﷺ قيمة البذل والكرم، فكانوا سباقين للخيرات بإذن الله، وكيف لا وقد رأوا رأي العين قدوتهم وأسوتهم الحسنة رسول الله ﷺ وهو أجود بالخير من الريح المرسلة، فكانوا على الدرب سائرين ولأعماله مقتدين وهو الذي رغبتهم في الخير وكشف لهم عن ثواب ذلك في الآخرة فقال ﷺ: «أيا مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيا مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيا مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من خضر الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام علي كرم الله وجهه: يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً، لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاة، فقال له رجل: أسمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، وما هو خير منه.

ذلك أنه لما أتى بسبايا طيء، وقفت جارية في السبي فقالت: يا محمد، إن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا بنت حاتم الطائي، فقال رسول الله ﷺ: «يا جارية، هذه صفة

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (الحديث: 195/6)

(٢) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2449).

المؤمنين حقاً ولو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه خلوا عنها، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق»<sup>(1)</sup>.

فقام أبو بردة بن نيار، فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق»<sup>(2)</sup>.  
وأما الشعبة الثانية، وهي: «إقراء السلام»، فلها كذلك أبعاد الآثار في حياة الفرد والمجتمع وفي دنيا الإنسان وآخرته.

إن إقراء السلام هو تحية الإسلام التي تميز بها هذا الدين الحنيف. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ [النساء: 86].

وجمهور المفسرين على أن هذه الآية قد وردت في السلام، وهي تدل على أن الجواب واجب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه «ورحمة الله»، فإن قال المسلم: السلام عليك «ورحمة الله»، زاد في الجواب عليه قوله: «وبركاته» وهي النهاية، وإما أن يرد بمثل تحيته. وقد روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: السلام عليك، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله»<sup>(3)</sup>.

وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته». وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: «وعليك»، فقال الرجل: نقصتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية.. فقال ﷺ: «إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله».

والسلام هو تحية الملائكة للمتقين عند دخول الجنة كما قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ الَّذِينَ آمَنُوا رَبِّهِمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ رُحُومًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: 73].

وهو أيضاً تحية الختام للقاء الروحي المتكرر في اليوم والليلة خمس مرات في الصلاة.

(1) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (الحديث: 341/5)، وذكره الزبيدي في «إنحاف السادة المتقين» (الحديث: 94/7).

(2) ذكره الزبيدي في «إنحاف السادة المتقين» (الحديث: 94/7).

(3) أخرجه مسلم في (الحديث: 6309).

والسلام كذلك شعار الإسلام، بالنسبة للدين الإسلامي نفسه، وبالنسبة للإنسان المسلم.

فأما بالنسبة للدين الإسلامي ففيه إظهار الدين وإعلان آدابه وإذاعة صوته وتحيته وندائه، وإشاعة الأمان الذي يستهدفه، والرحمة التي هي جوهره، والبركة التي تعود على المتصكين به المعتصمين بحبل الله جميعاً.

وأما بالنسبة للإنسان المسلم فهو بإفراء السلام وإفشائه وإلقائه على إخوانه إعلام بأنه مسلم إذا وجد في بيئة فيها المسلمون وغير المسلمين. فهو بالسلام يتعين أمام الناس فيعرفونه ويعاملونه على ذلك ويتضح أثر إفشاء السلام بالنسبة للفرد في احترام دينه وصيانة حقوقه بقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا صَرَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقِيُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَكَانٌ كَثِيرٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِن قَبْلُ فَمَنْ أَكَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: 94].

وروي أن سرية غزت أهل فدك فهربوا وبقي «مرداس» ثقة بإسلامه فلما رأى الخيل أُلجأ غنمه إلى ناحية من الجبل وصعد، فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه. فما أقرهم الرسول ﷺ على فعله؛ لأن الرجل شهد الشهادتين وقال: السلام عليكم، ولا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب.

وفي إفشاء السلام تطبيق لخلق التواضع بين المسلمين، وتأليف لقلوبهم وتصفية للنفوس وغرس للود بين الناس، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «ثلاث يصفين لك وذ أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه»<sup>(1)</sup>، وقال: «أولا أنبتكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم انشوا السلام بينكم».

ما يؤخذ من الحديث:

1 - حرص الصحابة على معرفة أمور دينهم، ومعرفة أفضل الأعمال للتقرب

إلى الله.

(1) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (الحديث: 429/3)، وأخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (الحديث: 82/8).

- 2 - إجابة الرسول ﷺ لكل سائل ولكل جماعة بما يناسبهم ويطابق حالهم.
- 3 - إن الإيمان يزيد وينقص بزيادة شعبه ونقصها بالنسبة للمسلم.
- 4 - التفاضل بين شعب الإيمان وخصال الخير وأن منها ما هو أفضل من غيره.
- 5 - فضل إطعام الطعام وإقراء السلام.
- 6 - دعوة الإسلام إلى ما فيه صلاح الفرد والمجتمع.

## القائم على حدود الله والواقع فيها

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»<sup>(1)</sup>.

المضردات،

(مثل القائم في حدود الله): معنى المثل: الصفة، وهذه الجملة من التشبيه المركب، ويسمى: تشبيه التمثيل وهو تشبيه حالة بحالة، ووجه الشبه فيه هيئة متزعة من عدة أمور والمعنى: أن حال القائمين في حدود الله والواقعين فيها كحال أصحاب السفينة... إلخ.

(الحدود): المراد بها في الحديث: المحارم التي نهى الله عنها، وقيل: المراد بها ما حده الله من عقاب الدنيا للعاصين كجلد الزاني وقطع يد السارق، ويكون المراد بالقائم فيها على هذا المعنى ولادة الأمور.

(والقائم على حدود الله): هو الذي يتصدى لإزالتها، المراقب لها بأن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

(والواقع فيها): هو المرتكب لها، التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(استهموا): أي: اقترعوا.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 2493).

(استقوا): أي: إذا طلبوا الماء وأرادوا السقيا.

(نجوا ونجوا جميعاً): نجوا الأولى لمن كان في أعلى السفينة وهم الأمرون بالمعروف، ونجوا الثانية بمعنى: إنهم نجوا غيرهم ممن هم بخرق السفينة.  
(جميعاً): حال من فاعل الفعلين.

### المعنى:

إن القائم على حدود الله هو المراقب لها، بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإن الواقع فيها هو الذي ترك الأمر بالمعروف، وارتكب المنكر.

ومثل هذين كمثله قوم افترعوا على سفينة مشتركة بينهم تنازعوا في الإقامة فيها، بين المكان الأعلى والمكان الأسفل، فأصاب بعضهم عن طريق القرعة أعلى السفينة، وأصاب البعض الآخر أسفلها، فكان الفريق الذي في أسفل السفينة إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، وفي رواية: «فكان الذي في أسفلها يعمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به»، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ - أين لم نضر - من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا من الخرق في نصيبهم هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً.

وهكذا الحال بالنسبة لإقامة الحدود تحصل بها النجاة لمن أقامها، ولمن أقيمت عليه، وأما إذا لم تقم فإن العاصي يهلك بمعصيته، وإن الساكت عن المنكر يهلك بسكوته؛ لأنه راض على المعصية مقر بوضعها.

وفي هذا التوجيه النبوي الحكيم إرشاد للمجتمع الإسلامي أن ينشد أفراد الخير لأنفسهم ولإخوانهم، ويحققوا خيريتهم على الأرض، أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وإيماناً بالله قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

وقد بينت السنة الشريفة مراتب النهي عن المنكر وتغييره، وأنها تبدأ أولاً باليد ثم باللسان ثم بالقلب، قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع

فلسانه، فإن لم يستطع فقلبه، وذلك أضعف الإيمان<sup>(1)</sup>، وهذه المرتبة الأخيرة تظهر حين يغضب المسلم لغضب الله، فينأى عن مرتكب المنكر ولا يتخذ منه صاحباً ولا يتعامل معه، فإن استطاع المجتمع أن يهمل مرتكب المنكر ويزدرجه من قلبه، فإنه يرى حينئذ أنه أصبح منعزلاً فيستشعر ذنبه، ويكون للرأي العام هنا أثره في إصلاحه وتغيير المنكر بالنسبة له.

أما إن سكت أفراد المجتمع عن المنكر، وتركوه يستشري فيهم وتنتقل عدواه من شخص لآخر، فإنه سيرتّب على ذلك هلاك العاصين والصالحين معاً، أما العاصون فيهلكون بعصيانهم، وأما الصالحون فيسكونهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا وَتَنَّهُ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 25]، وإن عدم القيام بالنهي عن المنكر ذنب كبير، يصبح به صاحبه ملعوناً مطروداً من رحمة ربه، قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: 78، 79].

ويستفاد من هذا الحديث ما يأتي:

- 1 - توضيح الأمور المعنوية بالمحموسة لتقريبها إلى العقول.
  - 2 - صحة إجراء القرعة فيما يختلف الناس فيه من أمور.
  - 3 - مسؤولية الفرد والجماعة والأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى: ﴿وَلَنْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: 104].
  - 4 - شدة خطر المنكر، وما يترتب عليه من عواقب وخيمة تشمل الصالح والظالم إذا ترك المنكر دون مقاومة، ولم يأخذ الناس على أيدي أصحابه.
- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 175)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 1140)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2172)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 5023)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1275).

الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَعْزُبُكُمْ مِّنْ صَلَٰةٍ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴿المائدة: 105﴾. وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»<sup>(1)</sup>.

5 - ينبغي على المسلم أن يصبر على أذى جاره إذا خيف وقوع ما هو أشد ضرراً.

6 - جواز أن يقسم العقار المتفاوت عن طريق القرعة. قال ابن بطال: والعلماء متفقون على القول بالقرعة إلا الكوفيين فإنهم قالوا: لا معنى لها؛ لأنها تشبه الأرزام التي نهى الله عنها.

(1) أخرجه أبو داود في (الحديث: 4338)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2168).

## كرم وإيثار

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت، نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينفاع. قال: فغدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن. قال: ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تزوجت؟»، قال: نعم، قال: «ومن؟»، قال: امرأة من الأنصار. قال: «كم سقت؟»، قال: زنة نواة من ذهب، أو نواة من ذهب. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أولم ولو بشاة»<sup>(1)</sup>.

إن نماذج الأخوة الإسلامية التي أرستها العقيدة وكونها الإسلام ووثق روابطها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، كانت تمثل أسمى القيم وأرفع الفضائل وأنبى الأخلاق والسجايا. وحسب هذه المؤاخاة نجاحاً وتوفيقاً، ما أثمرته لدى الأنصار من الآثار التي ستظل مضرب الأمثال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي هذا الحديث نموذج من نماذج الإيثار، فقد آخى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع. وكان سعد أكثر الأنصار مالاً، وكان له زوجتان، فدفعته أخوة الإسلام التي سمّت على أخوة العصب والدم، فقدم إلى أخيه عبد الرحمن ما تعز به النفس البشرية، وما يضمن به الشقيق على شقيقه، عرض عليه المال، ولكن في أية صورة، أعطيه مبلغاً من ماله أو جزءاً منه أو ريعه أو ثلثه لا، وإنما قدم له نصف ما يملك، ثم لا يكتفي بالمال، وإنما يعرض عليه أي زوجتيه أراد فينزل عنها، فإذا حلت تزوجها... إنه حقاً لمثل فريد في الإكرام والإيثار: مثل جل عن النظر في دنيا الناس، وفي تاريخ المعاملات الإنسانية، والمكرّمات الأخوية بين بني البشر.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 2048) و(الحديث: 2049).

ولكن عبد الرحمن بن عوف أبي ذلك، ودعا لأخيه بالبركة في أهله وماله قائلاً له: بارك الله لك في أهلك ومالك، وأجابه على ما عرض عليه بقوله: «لا حاجة لي في ذلك»، ثم سأل عن السوق ليعمل بالتجارة فدلوه، فتابع الغدو، فاشترى وباع فربح، فجاء بشيء من سمن وأقط وتزوج. فلما جاء عبد الرحمن ورأى النبي ﷺ بشاشة العرس والطيب، قال له: «أتزوجت؟»، قال: نعم، فقال له: «من؟»، قال: امرأة من الأنصار، قال: «كم سقت؟»، قال: زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب. فقال له النبي ﷺ: «أولم ولو بشاة».

ويستدل بهذا على تأكيد أمر الوليمة، وعلى استحباب المؤاخاة وحسن الإيثار من الغني للفقير.

وفي هذا دلالة على فضيلة سعد بن الربيع، وما ضرب به من أروع المثل في الإيثار. وفضيلة عبد الرحمن بن عوف وما ضربه من أروع الأمثلة في علو الهمة وعزة النفس والرغبة في العمل والكسب. وإن العيش من عمل المرء بتجارة أو حرفة أولى لتزاهة الأخلاق من العيش بالهبة ونحوها.

لقد استحق الأنصار بفضل إيمانهم القوي وإيثارهم النادر أن ينزل في شأنهم قرآن يتلى، شاهداً لهم بالفوز والفلاح: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكُلُو كَانُ يَوْمَ حَصَاةٍ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: 19].

وقال رسول الله ﷺ في شأنهم: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحب الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

ولقد فتح الله تعالى على عبد الرحمن بن عوف بعد ذلك، فما لحق بربه إلا وكان من أثرى الناس وأكثرهم مالاً، كريم النفس بعيداً عن الشح باذلاً للمعروف محباً للخير.

عن سعيد بن جبيرة، عن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهم فني شح نفسي لا يزيد علي ذلك، فقلت له؟ فقال: إني إذ وقيت شح نفس لم أسرق ولم أزن، ولم أفعل. وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

ولقد توج القرآن أولئك المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، بتاج الرضا والسعادة في الدارين.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100].

تلك هي نماذج سلفنا، وهكذا كانت حياتهم مترعة بالفضائل، بعيدة عن الرذائل، مشرقة بالإيثار والبذل والعطاء، فوسعوا الناس بقلوبهم وصدورهم قبل أموالهم وديارهم، فأين هذه الفضائل العالية، والقيم المثلى من الأثرة والأنانية وحب الذات وغير ذلك مما ضاقت به حياة المجتمعات المادية اليوم.

إن للأخوة الإسلامية حقوقاً وواجبات يجب على الأفراد والجماعات أن يقفوا عليها، وأن يمثلوا مبادئها، وأن يسيروا على هداها.

فيوم يشعر المسلم من أعماقه بأخوة أخيه المسلم مهما بعدت الديار، وتعددت اللغات والأشكال، يوم أن تتجاوب مشاعر الإيمان بينهم، فتتهلل حياتهم بالتعاطف وتشتيع بينهم المودة، ويصبح الجميع بنعمة الله إخواناً. إن سر هذا الإيثار والتأليف بين القلوب إنما هو الإيمان بالله، فهو سبحانه الذي ألف بين قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَتَاكَ لِيَتَرَاهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ۗ وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 62، 63].

ما يؤخذ من الحديث:

- 1 - مكانة الأخوة الإسلامية وحقوقها العظيمة.
- 2 - منقبة لعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع.
- 3 - الكرم والسخاء بين الإخوة المسلمين.
- 4 - فضل العمل وأهميته في الإسلام.
- 5 - مشروعية الوليمة عند الزواج.

## احفظ الله يحفظك

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال لي: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراه»<sup>(1)</sup>. توجية نبوي حكيم فيه الحفظ والعون، وفيه البشر والفرج، إنه منهج حياة، وطريق سعادة، يرسى هذا المنهج الحكيم الرسول العظيم الذي لا ينطق عن الهوى . .

ورأوي هذا الحديث، صحابي جليل، يؤكد صحة ما سمع، ويوضح مكانه وقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يعلمه هذا المنهج الرائع، يعلمه وهو في مقتبل عمره، إنه غلام وسوف يواجه مراحل من الحياة مختلفة، وستلقاه الحياة بأشكال شتى من عسر ويسر وفرج، والخلاص من عوائق الحياة وظروفها وأزماتها وشدتها إنما هو في المحافظة على حدود الله، وأوامره ونواهيه، وقد امتدح القرآن الكريم كل حفيظ لهذه الحدود، قال الله تعالى:

﴿مَنْذَرًا مَّا تُؤْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٣﴾ تَنْ حَتَّى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَحَمَاءَ بِقُلُوبِ غُيُوبِ ﴿٣٤﴾﴾  
 [ق: 32، 33]. والمحافظة على الصلاة مطلوبة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٣١﴾﴾  
 [المؤمنون: 9] والمحافظة أيضاً على الأيمان: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: 89] وهكذا

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2516).

كالمحافظة على الفروج ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرَجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 5] إن المحافظة على أوامر الله ونواهيه فيها المحافظة على العبد من ربه والجزاء من جنس العمل كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40] وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] وقال: ﴿إِنْ تَصْرَفُوا لِلَّهِ يُضْرِكْكُمْ﴾ [محمد: 7]. وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته ويتمثل ذلك في حفظ ذريته كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: 82].

ومن حفظ الله للعبد حفظه في حياته من الشبهات والضلالات والشهوات وكل ما هو حرام: وفي الحديث القدسي عن أنس، عن النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ: إِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الْفَقْرُ وَإِنْ بَسَطْتُ عَلَيْهِ أُنْسَهُ ذَلِكَ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الْغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتَهُ لِأُنْسِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الصَّحَّةُ وَلَوْ أَسْقَمْتَهُ لِأُنْسِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا السُّقْمُ وَلَوْ أَصْحَحْتَهُ لِأُنْسِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ يَطْلُبُ بَابًا مِنَ الْعِبَادَةِ فَأَكْفَهُ عَنْهُ لِكَيْلَا يَدْخُلَهُ الْعَجَبُ، إِنِّي أَتُبِّرُ أَمْرَ عِبَادِي بَعْلَمِي بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ إِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ» أخرجه الطبراني.

إذا فكل شيء قد كتبه الله وقدره فمهما يصنع البشر فلن يستطيعوا أن يغيروا شيئاً مما قدره الله، بل إن ما قدره الله للعبد هو الخير. والناس كل الناس أعجز ما يكون أن ينفعوا عبداً إلا بما كتبه الله له أو أن يضره إلا بما قدره الله وكتبه عليه، وقد عبّر الحديث عن هذا التقدير الإلهي والتدبير المحكم بقوله: «رفعت الأقلام وجفت الصحف»، وقال تعالى: ﴿مَا آسَابَ مِنْ مُبِينَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]، وقال ﷺ جواباً لمن قال له: يا رسول الله فقيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ فقال ﷺ: «لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير»، قال: فقيم العمل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

وقد رأينا في رواية أخرى للحديث بأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا، وهذا يعطينا دلالة واضحة لا لبس فيها بأن الله قادرٌ على كل شيء. قادر على تغيير الأوضاع وتبديل الأحوال، وكشف الأزمان، وتفريج الكرب، ولكن متى يكون؟ عندما يتعلق القلب بالله ويعتمد على ربه ويتوكل عليه كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3].

ولطالما قص القرآن الكريم من قصص تفريج الكروب حين تنهاهى، مثل: نجاة نوح ومن معه في الفلك، ونجاة إبراهيم من النار وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، ونجاة موسى وقومه من الغرق وإغراق عدوهم، وموقف أيوب وموسى، وقصة سيدنا محمد ﷺ مع أعدائه ونجاته منهم في الغار ويوم بدر وأحد والأحزاب وغير ذلك.

إن الحديث بهذا المنهج الرائع يرسم صورة مشرقة لحياة المؤمنين الذين يرتبطون بخالقهم، فيحيون سعداء آمنين لهم النجاة في الدنيا من كل كرب والسعادة في الأخرى بجنة عرضها السموات والأرض.

ما يؤخذ من الحديث:

- 1 . الجزء من جنس العمل .
- 2 - إن من حافظ على حدود الله وشرعه حفظه الله .
- 3 - لا سؤال إلا لله، ولا استعانة إلا بالله فهو وحده المعبود والمقصود .
- 4 - كل شيء بقضاء الله ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .
- 5 - من تعرف على ربه بالصالحات في الرخاء كان الله معه في الشدة .

## من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين

عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله عنه معطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»<sup>(1)</sup>.

راوي هذا الحديث: هو الصحابي العظيم، معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب كاتب الوحي لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وله فضائل كثيرة ومناقبه الجمة، وكانت وفاته في شهر رجب سنة ستين، وتوفي عن ثمانية وسبعين سنة، وله في البخاري ثمانية أحاديث وقوله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي: سمعت كلامه، أي: إن مفعول سمعت محذوف تقديره: «كلامه»: «يقول...» في محل نصب حال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، والمراد بالإرادة أنها صفة تخصص أحد طرفي الممكن بالواقع، و«خيراً» مفعولٌ به وهي نكرة وقعت في سياق الشرط فتفيد العموم، فالمعنى: من يرد الله به جميع الخيرات، أو أنَّ التنكير للمتعميم وعلى ذلك يكون المعنى: من يرد الله به خيراً عظيماً ومعنى «يفقهه في الدين» أي: يفهمه، فالفقه في اللغة: الفهم، ويقال: فقه بالكسر إذا فهم، وبالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم، وبالضم إذا صار الفقه له سجية، وهو مختص بعلم الفروع لاستنباطه بالأدلة والنظرة الدقيقة، والمناسب في الحديث حمله على المعنى اللغوي، ليعلم كل فقهٍ في الدين ومفهوم الحديث: إن من لم يتفقه في الدين ويتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع وغيرها فقد حرم الخير كله، وهذا يوضح لنا مكانة العلماء ومنزلتهم وفضلهم على سائر الناس، ولفضل تعلم أمور الدين وتفهمها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تسودوا، أي: لأنه ربما منعكم السيادة من التفقه، ولا ينافي هذا القول أنه ينبغي التفقه بعدها أيضاً: «وإنما أنا قاسم»، أي: أقسم بينكم ما أوحى إلي مما أمرت بتبليغه

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 71).

إليكم، ولا أخص به بعضاً دون بعض «والله يعطي» أي: يعطي الله الفهم للناس كل إنسان على قدر ما تعلقّت إرادة الله تعالى به، فيتفاوتون في الفهم منه سبحانه، ولقد كان البعض سمع الحديث فيفهم الظاهر منه ويسمعه آخر، فيستنبط المسائل الكثيرة منه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فالرسول ﷺ يسوي بينهم في إلقاء العلم، والله تعالى يعطي كلاً منهم من الفهم على قدر ما أراد الله، وقيل: الواو في قوله: «وإنما أنا قاسم» للحال من فاعل يفقهه، والمعنى: أن الله يعطي استعداداً لدرك المعاني على ما قدر ثم يلهمني بإلقاء ما هو لائق باستعداد كل واحد. وقيل: المراد قسمة المال؛ لأن مورد الحديث كان عند قسمة مال فخص بعضهم بزيادة لمقتضى ذلك، فاعترض البعض ممن خفيت الحكمة عليه فرد عليه بقوله: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، فالرسول ﷺ قاسم بأمر الله وليس معطاً حتى تنسب إليه الزيادة والنقصان، والحصص في الحديث «إنما» إنما هو حصص إضافي؛ لأن له صفات أخرى سوى القسم وإن اعتقد الجمع بين الوصفين فهو حصص الأفراد ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

والمراد بهم: أهل العلم بالآثار، وقال الإمام أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، أي إنه يرجح أنهم أهل الحديث، وقيل: أراد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث ويحتمل. كما قال النووي. أن تكون هذه الطائفة فرقة من أنواع المؤمنين، ممن يقيم أمر الله من مجاهدٍ وقيميٍّ ومحدثٍ وزاهدٍ وأمر بالمعروف، وغير ذلك من أنواع الخير ولا يلزم اجتماعهم في مكانٍ واحد، بل يجوز بأن يكونوا متفرقين، والمراد بمجيء أمر الله: هو يوم القيامة وأما المراد بأمر الله الذي ورد أولاً في الحديث في قوله: «قائمة على أمر الله» أي: التكليف، ومعلوم أن يوم القيامة ليس زمان تكليف، وأما أمر الله الثاني الوارد في قوله: «حتى يأتي أمر الله»، إما أن يكون يوم القيامة وتكون الغاية في قوله: «حتى» لتأكيد عدم المضرة، أو المراد به: بلاء الله والمراد به: فتنة الدجال وقيل المراد به: الريح اللينة التي تأتي قبل يوم القيامة فتقبض روح كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فلا تعارض حينئذٍ بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقول أحدٌ الله الله» ولا تعارض بينه أيضاً وبين الحديث: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»، لأن تلك الريح تأتي قريب يوم القيامة وما هو في هذين الحديثين عند القيامة.

## ما يؤخذ من الحديث:

- 1 - فضل التفقه في الدين .
- 2 - أن المعطي في الحقيقة هو الله تعالى .
- 3 - أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبداً .
- 4 - محبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه لأمته ورفقه بهم ، وعطفه عليهم .
- 5 - أن الناس يتفاوتون في أفهامهم ، فمنهم من يفهم من الحديث ظاهره ومنهم من يستنبط الأحكام الكثيرة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .
- 6 - أهمية العلم وفضله وفضل التفقه فيه ليحظى العبد بسعادة الدنيا والآخرة ، إذ به يتعرف المسلمون على الحلال والحرام ويفهمون أمور دينهم على حقيقتها .

## أحب الأعمال إلى الله أدومها

قال الإمام مسلم رحمته الله: حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم قال زهير: حدثنا جرير عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة قال: قلت: يا أم المؤمنين، كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع؟.

قال الإمام مسلم: وحدثنا ابن نمير، حدثنا أبي، حدثنا سعد بن سعيد، أخبرني القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»<sup>(1)</sup>، قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته.

وروى الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة فقال: «من هذه؟»، قالت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: «مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا»<sup>(2)</sup>، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

المعنى:

جاء في رواية الإمام مالك أن المرأة المذكورة من بني أسد، وفي رواية الإمام مسلم أنها الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى، من رهط خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ونقل عنها أنها كانت لا تنام الليل.

وأما ذكر السيدة عائشة رضي الله عنها للمرأة ومدحها لها مع النهي عن المدح، فلعلها أمنت عليها الفتنه فلذلك مدحتها في وجهها، ولكن رواية حماد بن سلمة عن هشام في هذا الحديث تدل على أنها ما ذكرت ذلك إلا بعد أن خرجت المرأة. أخرجه الحسن بن

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 1827).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 43).

سفيان في مسنده من طريقه ولفظه: كانت عندي امرأة فلما قامت قال رسول الله ﷺ: «من هذه يا عائشة؟»، قلت: يا رسول الله، هذه فلانة وهي أعبد أهل المدينة. الحديث.

كلمة (مه) مبنية على السكون وهي اسم فعل بمعنى: اكفف وهذا النهي متجه إلى السيدة عائشة حتى لا تمتدح المرأة بما ذكرت، كما يحتمل أن يكون نهياً عن الفعل المذكور وهو قيام الليل كله. وقد قال بعض الأئمة بكراهة صلاة جميع الليل. ومعنى «عليكم بما تطيقون»: أي: افعلوا من الأعمال ما يمكنكم أن تداوموا عليه ومنطوقه يقتضي الأمر بأن يقتصر المسلم على ما يطيقه من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما يطاق، ولأن كان سبب ورود هذا الحديث خاصاً بالصلاة إلا أن لفظه عام وجاء الخطاب به عاماً في قوله: عليكم مع أن المخاطب النساء، ومعنى «لا يمل الله حتى تملوا» و«الملل»: هو استثقال الشيء والفور عنه بعد محبته.

وهذا المعنى لا يمكن أن يستقيم بالنسبة لله تعالى، بل هو محال، ولكن جاء التعبير به على جهة المقابلة اللفظية مجازاً كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئًا سَيِّئًا لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 40]. وقال الهروي معناه: لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه. وقيل: إن حتى بمعنى الواو وعليه فيكون التقدير: لا يمل وتملون، والأولى أنه من باب المقابلة، ومعنى «أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه» فمعنى المحبة من الله تعالى: إرادة الثواب أي: أكثر الأعمال ثواباً أودمها؛ لأن بدوام العمل القليل تستمر الطاعة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق، فإن العمل الدائم ولو كان قليلاً ينمو ويصبح أكثر من الكثير المتقطع، أما الذي يترك العمل بعد الدخول فيه فهو كالمعرض بعد الوصل.

ولطالما وجه الرسول ﷺ المسلمين بأن يأتوا من الأعمال ما يوافق استطاعتهم كقوله: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»<sup>(1)</sup>، وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟»، فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم، فإن

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 3243)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 2618).

لجسدك عليك حقاً وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك - أي لضيفك - عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها...»<sup>(1)</sup>.

ومن المعلوم أن منهج الإسلام قام على الاعتدال والقصد في الأمور كلها لا إفراط ولا تفريط. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: 31]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [البقرة: 67]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]. وقال ﷺ: «هلك المتنطمعون»<sup>(2)</sup>، أي: الذين يبالغون ويتشددون في الأمور. وقال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا واغدوا وروحووا»<sup>(3)</sup>.

وهكذا يتبين لنا حرص الشريعة الإسلامية على اليسر فمعروف أن العمل القليل الذي يكون صاحبه منشراح الصدر نشيطاً للعبادة بخلاف الكثير الشاق فإنه يصدد أن يتركه الإنسان أو أن يفعله بتكلف وبغير انشراح. وقد ذم الله تعالى من اعتاد عبادة ثم أفرط فيها، فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27].

وكثيراً ما نادى الإسلام بتواصل أعمال الخير ودوامها وعدم احتقار اليسر منها. قال عليه الصلاة والسلام: «يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»<sup>(4)</sup>، والفرسن: هو عظم قليل اللحم ويطلق على الظلف... وقد قال تعالى: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

وقد قاوم الرسول ﷺ الذين يغالون في أعمالهم. روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟»، قالوا: هذا

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 1975)، و(الحديث: 5199).

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 6725)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 4608).

(3) أخرجه البخاري في (الحديث: 39)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 5049).

(4) أخرجه البخاري في (الحديث: 2566)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 2376)، وأخرجه الإمام مالك في (الحديث:

حبل لزينب تقوم تصلي فإذا فترت قامت فتعلقت به . فقال النبي ﷺ : «حلوه» ، ثم قال : «يصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»<sup>(1)</sup> .

كما روى أنس رضي الله عنه أيضاً قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها - أي عدوها قليلاً - وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : «أنتم الذي قلتم كذا وكذا، أما والله إنني لأخشاكم لله وأنتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(2)</sup> .

وقد حكى أن قوماً أتوا قيس بن عبادة يسألونه أن يعلنهم على أداء دية لزمهم، فنظروا إليه فرأوه وهو في البستان يجمع ما يتساقط من الشمر ويميز بين الجيد والرديء . فلما انتهى من عمله سأله ما أرادوا فأعطاهم ما طلبوه، فقال له بعضهم : لقد داخلنا بعض الشك في جودك بعد أن رأينا ما تصنعه في البستان، فأجابهم : إن ما رأيتم من حرص على مال هو الذي مكنتي من تحقيق غرضكم .

أي : أن الاعتدال في الأمور كلها، والتوسط بين الإفراط والتفريط، يحفظ على الإنسان مواصلة العمل والاستمرار في وجوه الخير والنفع العام، وقد كان منهج الإسلام فيما يتصل بهذا الجانب عاماً وشاملاً لسائر العبادات والأعمال، ووجوه النفع الشامل، ولم يدع جانباً من تلك الجوانب إلا ووجهه الصام إلى الاعتدال فيه، بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط ولا مغالاة ولا تقصير .

ففي جانب الأكل والشرب قال تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الاعراف :

[31]

وفي جانب الإنفاق والصدقة نادى القرآن بالاعتدال بحيث لا يكون المسلم بخيلاً

(1) أخرجه البخاري في (الحديث : 1150)، وأخرجه مسلم في (الحديث : 1829)، وأخرجه النسائي في (الحديث : 1642)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث : 1371)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث : 256/3) .

(2) أخرجه مسلم في (الحديث : 3389)، وأخرجه النسائي في (الحديث : 3217)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث : 2/158) .

ولا مبدراً، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ...﴾ [الإسراء: 29].

وفي جانب العبادة لم يكلف الله الناس بما لا طاقة لهم به قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُمَاسِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284]، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ. ثم جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها، فقال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها: ﴿ءَأَمَرَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَّا تُفْرِقُونَ أَحَدٌ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مِنكُم مِّن قَوْمٍ عَاجِلِينَ أَوْ نَسِيًّا أَوْ غَافِلِينَ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ لَنَا فِتْنَةً مِّن قَدْرِكَ رَبَّنَا وَلَا تُجْعَلْنَا مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا إِنَّنَا نَعْتَدُكَ رَبَّنَا بِالْأَعْيُنِ وَأَنْتَ بَالِغُ الْغَايَةِ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا إِنَّنَا نَعْتَدُكَ رَبَّنَا بِالْأَعْيُنِ وَأَنْتَ بَالِغُ الْغَايَةِ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا إِنَّنَا نَعْتَدُكَ رَبَّنَا بِالْأَعْيُنِ وَأَنْتَ بَالِغُ الْغَايَةِ رَبَّنَا﴾ [البقرة: 286].<sup>(1)</sup>

وقد كشفت السنة الشريفة عن هذا الجانب من التجاوز والعفو، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم».

وقد اجتهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه في تثبيت منهج الاعتدال في الأعمال والعبادات عند المسلمين، حرصاً منه على استمرارهم في العمل، ورأفة منه ورحمة بهم.

(1) أخرجه مسلم في (المحدث: 325)، وأخرجه الترمذي في (المحدث: 2992)، وأخرجه الإمام أحمد في (المحدث: 2/

لقد حرص على ترسيخ هذا المنهج المعتدل، حتى إنه كان يترك - في بعض الأحيان - بعض الأعمال، فلا يقوم بأدائها أمام الناس مخافة أن يواظبوا عليها، فتفرض عليهم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم، وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط وإني لأسبحها وهي نافلة الضحى.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، ومعنى الآية: إن الله تعالى يمتن على المؤمنين، حيث أرسل إليهم رسولاً من جنسهم وعلى لغتهم، كما دعا إبراهيم عليه السلام، كما قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿وَرَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: 129]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164].

وأنه يعز عليه ما يعنت أمته أو ما يشق عليها؛ لأنه بعث بالحنيفية السمحة وهو حريص كل الحرص على هداية أمته، واليسير عليها ووصولها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعده أحدهما عند رجله، والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه: اضرب مثل هذا أو مثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة جدة فقال: أرايتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء تتبعوني؟ فقالوا: نعم، قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة، وحياضاً رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألكم على تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعوني؟ فقالوا: بلى فقال: فإن بين أيديكم رياضاً هي أعشب من هذه، وحياضاً هي أروى من هذه فاتبعوني فقالت طائفة: صدق الله لتبعنه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه.

كل هذا يدل على رافة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته بأمته، واتباعه معها طريق اليسر والتسامح، فإنه يعز عليه أن يرى شيئاً يشق عليها، أو حرجاً تلاقيه لأنه بعث رحمة للعالمين، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا رحمة مهداة»، فالرحمة جوهر رسالته، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، والطريق إلى هذه الرحمة يسير في اتجاهين مستقيمين مستبشرين.

أحدهما: في التيسير في التكاليف والعبادات، والرحمة بالأمة في كثير من أحكام الإسلام كما هو معروف.

والثاني: بدوام العمل والعبادة واستمراره وعدم انقطاعه، فكلما استمر المسلم في العبادة وداوم عليها، وإن كانت قليلة داوم الله تعالى بإسباغ رحمته عليه، ورفع به، ورعايته له وحبه إياه؛ لأن هذا المنهج من السلوك هو أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى. كما قال الرسول ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»<sup>(1)</sup>، أما نتيجة هذا الحب من الله تعالى، فقد بينه فيما جاء في الحديث القدسي: «... فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني ل أعطيتنه ولئن استعاذ بي لأعيذنه...»<sup>(2)</sup>، ومن مظاهر حرص الرسول ﷺ على أمته أمره لهم من جانب التكليف والعبادة ألا يفعلوا ما يتسببون به في الزيادة وما يستطيعون القيام به عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال النبي ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذروني ما تركتكم»، رواه أحمد<sup>(3)</sup> ومسلم<sup>(4)</sup> والنسائي<sup>(5)</sup>.

وروى أحمد<sup>(6)</sup> والنسائي<sup>(7)</sup> بمعناه: عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، كتب عليكم الحج»، فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع».

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 1827)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 165/6).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 6502).

(3) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 371/1).

(4) أخرجه مسلم في (الحديث: 3244).

(5) أخرجه النسائي في (الحديث: 2618).

(6) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 255/1) و(الحديث: 291/1).

(7) أخرجه النسائي في (الحديث: 2691).

ومن مظاهر التيسير أن الرسول ﷺ كان لا يشق على المسلمين ويتحاشى ما يكون سبباً في تسرب الملل إلى نفوسهم حتى ولو كان ذلك من توجيهه وإرشاده، فكان ﷺ يتخول المسلمين الموعظة كراهة السامة، عن ابن مسعود قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا وكان يخشى إذا استمر في التوجيه والتعليم أن يتسرب الملل إلى أصحابه، أو يأخذ التعب طريقة إليهم فكان يعطيهم فرصة للراحة والاستجمام والتشويق لتمكن معلوماتهم فيها من الثبوت والتركيز، ولهذه الطريقة الرشيدة تدين مؤسسات التربية اليوم التي استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوي الحكيم.

وحين بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن زوده بالتوجيه الكافي وأمره أن يسير على سنن التدرج معهم فيقول له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك كذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»<sup>(1)</sup>.

ويتبادر هنا سؤال هو: أن الله تعالى قد أمرنا بالافتداء بالرسول ﷺ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرَّ اللَّهُ كِبَرًا﴾ [الاحزاب: 21]، ومن المعلوم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل متهجداً راعماً ساجداً حتى تتورم قدماه وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله، وحتى يسمع لصدرة أزيز كأزيز المرجل من البكاء، فتقول له في ذلك السيدة عائشة ؓ: أتفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فجيها: «أفلا أكون عبداً شكوراً»<sup>(2)</sup>.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 1395)، و(الحديث: 1458)، و(الحديث: 7371)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 121)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 625) و(الحديث: 2014)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 2434)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1783)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 1/233).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 1130)، و(الحديث: 4836)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 7055) و(الحديث: 7056)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 412)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 1643)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1419)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 4/251).

وكان يواصل الصيام، والوصال: هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد ومع هذا فقد نهى عن الوصال بالنسبة للمسلمين. فلم لم يكن الاقتداء به في مثل هذه الأمور؟ أو بمعنى آخر كيف يأمر بالتيسير وهو يأتي مثل هذه الأعمال الشاقة؟ وللإجابة على هذا نقول: إن كل حكم يثبت في حق النبي ﷺ فهو ثابت أيضاً في حق أمته إلا ما استثنى بدليل كبعض خصائصه ﷺ، فإن خصائص الرسول ﷺ لا يتأسى به في جميعها، وقد توقف في ذلك إمام الحرمين، وقال أبو شامة: ليس لأحد التشبه به في المباح كالزيادة على أربع نسوة، ويستحب التنزه عن المحرم عليه، «كالأكل من الصدقة»، ويستحب التشبه به في الواجب عليه كالضحى.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وأما المستحب - أي في حقه ﷺ - فلم يتعرض له، والوصال منه أي: وصال الصيام من قبيل المستحب في حق النبي عليه الصلاة والسلام - فيحتمل أن يقال: إن لم يبه عنه لم يمنع الاقتداء به فيه اهـ.

ولعل مراد الحافظ بقوله: «إن لم يبه عنه» أي: بالنسبة لبعض الناس وفي بعض الأحوال وهذا نادر، وأما الأعم الأغلب فهو ما وردت به السنة الصحيحة الصريحة في ذلك من النهي عن الوصال.

روى الإمام البخاري رحمته الله قال: حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إياكم والوصال» مرتين، قيل: إنك تواصل، قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من العمل ما تطيقون»<sup>(1)</sup>.

ما يؤخذ من الحديث:

1 - التيسير وعدم التعسير والرحمة بالأمة الإسلامية في سائر التكاليف الشرعية صلاة وزكاة وصياماً وحجاً وما إلى ذلك.

2 - أن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها.

3 - يقوم منهج الإسلام على الاعتدال في العبادة والعمل دون إفراط أو تفريط.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 1966).

## قدوم ضمام بن ثعلبة

من قصص السنة الشريفة، قصص الوفود الذين كانوا يقدمون على الرسول ﷺ فرادى وجماعات، قال الإمام البخاري رحمته الله: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا الليث، عن سعيد هو المقبري، عن شريك بن عبد الله بن أبي نصر، أنه سمع أنس بن مالك يقول: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب، فقال له النبي ﷺ: «قد أجبك» فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد عليّ في نفسك. فقال: «سل عما بدا لك»، فقال: أسألك بربك، ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم»، قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «اللهم نعم»، قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: «اللهم نعم» فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد<sup>(1)</sup>.

لقد كان قدوم ضمام في سنة تسع، كما جزم بهذا ابن إسحاق وأبو عبيدة وغيرهما. وكان وفوده بناءً على رغبة بني سعد بن بكر الذين أرسلوه إلى رسول الله ﷺ. وصادف مجيئه وسؤاله هوى في نفوس المسلمين حيث أنهم نهوا عن سؤال ما لا ضرورة إليه. فكان يعجبهم أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأل الرسول ﷺ وهم يسمعون.. ولما جاء ضمام سأل عن الرسول ﷺ قائلاً: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم. فقالوا له: هذا الرجل الأبيض المتكئ.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 63).

ولم يكن الرسول ﷺ أبيض صرفاً. وإنما المراد: الأبيض المشرب بحمرة، كما ورد في صفته ﷺ أنه لم يكن أبيض ولا آدم.

أما أسئلة الرجل: فقد اشتملت على السؤال عن عموم رسالته، وذلك في قوله: «الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ ثم عن الصلوات الخمس ثم الزكاة.. وفي رواية الإمام مسلم: سؤاله عن الحج وفيها كذلك ما يدل على حسن سؤاله وترتيبه ومنطقه وعقله. حيث سأل أولاً عن صانع المخلوقات من هو؟ ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولاً للصانع. ثم لما وقف على رسالته وعلمها وأقسم عليه بحق مرسله، وهذا الترتيب في الأسئلة يدل على تفتح عقليته، وقوة منطقته وحكمته.. ففي رواية مسلم أنه قال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق»، قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله» قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله» قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آله أرسلك؟ قال: «نعم»<sup>(1)</sup>، لقد وجه الرجل أسئلة تتصل بكتاب الكون المفتوح من أرضه وسماواته وجباله، سائلاً عن خالقها وصانعها مستدلاً من الصنعة على الصانع، ومن الخلقة على الخالق، مصداقاً لما أجابه به الرسول ﷺ. وهذه الأسئلة احتوت أدلة كونية، شاهدة بوجود الله ووحدانيته وقدرته وعظمته، وأنه الذي خلق فسوى وقَدَّر فهدى..

وهي أدلة واضحة وضوح الشمس، ويمكن لكل من كان بعيداً عن الإسلام أن يستدل بها على ربه، وأن يدع المكابرة والمراوغة، فهي أدلة مبثوثة في الكون، شاهدة بوحدانية الخالق العظيم.

وفي كل شيء له آية.. تدل على أنه الواحد.

أما قول الرجل: أيكم محمد؟ فقد قيل: إنما لم يقل الرسول ﷺ له: نعم، لأنه لم يخاطبه بما يليق بمنزلته من التعظيم، لا سيما مع قوله تعالى: ﴿لَا تَجْمَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَبَعْضٍ﴾ [النور: 63]، وقال الحافظ ابن حجر: والعدر عنه إن

(1) أخرجه البخاري في (الهديث: 63)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 102)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 619)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 2090).

قلنا: أنه قدم مسلماً أنه لم يبلغه النهي. وكانت فيه بقية من جفاء الأعراب، وقد ظهرت بعد ذلك في قوله: فمشدد عليك في المسألة.

ولما أجابه رسول الله ﷺ عما سأل عنه وشفى قلبه بثبوت علمه وعقيدته، قال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد. وفي رواية أنه قال: وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف راجعاً. فقال رسول الله ﷺ حين ولى: «إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة»<sup>(1)</sup>. وكان ضمام رجلاً جليداً أشعر ذا غديرتين، ثم أتى بغيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا عليه، وكان أول ما تكلم به أن قال: بثست اللات والعزى، فقالوا: صه يا ضمام، اتق البرص والجنون والجزام، قال: ويلكم، إنما ما يضران ولا ينفعان إن الله بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً، استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإني قد جتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فوالله ما أمسى في اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً، رواه ابن إسحاق وقال: فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة.

لقد كان الرجل صوت حقٍ وصدقٍ إلى قومه، حيث حمل لهم مشعل النور والمعرفة. بعد أن استقى ينابيع الحكمة والهداية من رسول ﷺ، فثار على الأصنام والمعبودات الباطلة ونشر دعوة الحق في ربوع قومه، حتى تفيئوا جميعاً ظلال الإسلام، وسعدوا به ورضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً.

وقد استدل علماء السنة بهذه القصة على القراءة على العالم، فإن ضماماً قال للنبي ﷺ: «الله أمرك أن تصلي الصلوات قال: «نعم»، فهذه قراءة على النبي ﷺ أخير ضمام قومه بذلك فأجازوه، وفي القصة أيضاً: العمل بخبر الواحد وتأكيده الدعوة إلى دعائم الإسلام من الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج.

(1) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 250/1) و(الحديث: 264/1).

## من أركان الإسلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: دنني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولي قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»<sup>(1)</sup>.

في هذا الحديث يروي أبو هريرة أن أعرابياً من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يوجهه على ما يدخله الجنة من العمل فقال له: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً»

والعبادة: هي الطاعة الكاملة مع الخضوع لله سبحانه وتعالى وحده، وإذا كان المراد بالعبادة معرفة الله والإقرار بوحدانيته فعلى هذا يكون عطف الصلاة والزكاة والصوم لإدخالها في الإسلام، وإن كان المراد بالعبادة الطاعة مطلقاً فيدخل فيها جميع أركان الإسلام ويكون عطف الصلاة والصيام والزكاة من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً على شرفه ومزيتة.

وإنما ذكر قوله: «ولا تشرك به شيئاً» بعد العبادة؛ لأن الكفار كانوا يعبدونه سبحانه في الصورة ويعبدون معه أوثاناً يزعمون أنها شركاؤه فنفي هذا.

وإنما اقتصر على الصلاة والصيام والزكاة لكونها من أركان الإسلام وأظهر شعائره والباقي ملحوق بها، وقيد الصلاة بالمكتوبة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: 103]، وجاء في الأحاديث وصفها بالمكتوبة وقيد الزكاة بالمفروضة وهي المقدرة احترازاً من الزكاة للمعجلة قبل الحول فإنها زكاة وليست مفروضة، وقيل: إنما الفرق بين الصلاة والزكاة في التقييد لكراهة تكرار اللفظ الواحد أو احترازاً عن صدقة التطوع فإنها زكاة في اللغة.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 1397).

وفي إقامة الصلاة قولان:

أحدهما: أداؤها والمحافظة عليها.

الثاني: إتمامها على وجهها.

وفي قوله: «وتصوم رمضان» حجة لمذهب الجمهور وهو المختار أنه لا كراهة في قول رمضان من غير تقييد بالشهر خلافاً لمن كره ذلك، وقول الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا أي على المفروض أو على ما سمعت منك؛ لأنه كان وافدهم، وفي رواية مسلم زيادة «أبدأ ولا أنتقص». فلما أدير الأعرابي قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»<sup>(1)</sup>، أي: إذا داوم على ما أمر به.

وقد ورد في أحاديثٍ أخرى زيادة بعض أمور مثل صلة الرحم، وذلك كما في حديث الأعرابي الذي رواه مسلم في صحيحه قال:

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا موسى بن طلحة قال: حدثني أبو أيوب أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفرٍ فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله ﷺ، أو: يا حمداً، أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه ثم قال: «لقد وفق - أو - لقد هدي». قال: «كيف قلت؟» قال: فأعاد فقال النبي ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة»<sup>(2)</sup>.

### ما يؤخذ من الحديث:

1 - أن المبشرين بالجنة أكثر من عشرة وعلى ذلك فتحمل بشارة العشرة على أنهم بشروا دفعةً واحدةً أو أن العدد لا مفهوم له.

(1) تقدم تحريجه سابقاً.

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 1396)، و(الحديث: 5982)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 104)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 467).

- 2 - الاكتفاء بفعل الواجبات لمن كان حديث عهدٍ بالإسلام لتأليفه فإذا انشرح صدره للإسلام وتعاليمه حرص على ثواب المندوبات؛ لأنَّ تركها نقصٌ في الدين بل إنَّ تركها تهاوناً ورغبةً عنها فسق.
- 3 - أهمية دعائم الإسلام والمحافظة عليها خاصةً توحيد الله والصلاة والزكاة والصيام.
- 4 - توجيه الرسول ﷺ وحكمته العالية في التبليغ ودعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.